العتبة النصية في حروف الضباب للروائي الجزائري الخير شوار*

الطالبة: بن دحمان الزهرة
جامعة سيدي بلعباس

ملخص:

تعد العتبة النصية من الأليات الإجرائية التي يستند عليها الباحث السيميولوجي بغية الوصول إلى مكنونات النص السردي، يحاول البحث استكناه النص السردي حروف الضباب للروائي الخير شوار انطلاقا من العتبات الخارجية (العنوان-الغلاف-اسم الكاتب)ثم عتباته الداخلية (لتقديم-وتقسيم الفصول).

Le paratexte des mécanismes de procédure qui sous-tendent le chercheur sémiologie afin d'atteindre le texte narrative seuil de texte, recherche d'essayer de texte narratif (lettres de brouillard) romancier khair choir de seuils étrangers (titres,nom d'auteur), puis le seuil interne (à l'offre et la division des classes).

مقدمة:

يعد النص الموازي من العتبات المحيطة بجسد النص الروائي، ويتمثل في العنوان والغلاف واسم الكاتب وتحديد جنس العمل والإهداء، تأتي النصوص الموازية كتقديم و تمهيد للكتاب،لتضع القارئ في جو النص العام،وتعمل على إثارته و حثه على محاولة معرفة النصوص المنشورة« بات النص الموازي paratexte يحوز على اهتمام مثير في المقاربات النقدية المعاصرة ،بل أضحى يمتلك نظريته الخاصة به في خضم النظرية الأدبية »[1]بهذا يعد النص الموازي المرجع الرئيس الذي نرجع إليه في دراستنا للمتن السردي ، نبحث من خلال العتبات النصية عن المعنى العميق الكامن خلف أسوارها،في سنة 1987 نشر كتاب Seuil للناقد الفرنسي جيرار جينيت،عالج فيه الناقد موضوع «العنوان بعمق وبصفة منهجية، انطلاقا من تحديد موقعه،تاريخ ظهوره،صيغة وجوده اللفظية»[2]،أي نص متعدد المشارب والمآرب وهو بحاجة دائمة إلى قراءة جديدة ومتجددة.

الولوج إلى عالم النص يتطلب التطرق أولا إلى العنوان بوصفه المفتاح الرئيس،وهناك من يرى أنه أهم العتبات النصية الخارجية التي توطد العلاقة بين النص والقارئ فلا يمكننا «مقاربة العنوان مقاربة علمية موضوعية إلا بتمثل المقاربة السيميوطيقية التي تتعامل مع العناوين وذلك باعتبارها علامات وإشارات ورموز وأيقونات واستعارات.فلا بد من دراسة هذه العناوين تحليلا وتأويلا»[3]العنوان هو اختزال للنص لذلك نجد في العنوان تكثيف الدلالة وتعميق المفاهيم .

ننطلق في الدراسة السيميائية من الرموز والإشارات بوصفها علامات دالة «وهكذا فإن أول عتبة يطؤها الباحث السيميولوجي هو استنطاق العنوان ، واستقراؤه بصريا ولسانيا ،أفقيا وعموديا»[4] اهتمت بقيمة العنوان لأنه من بين العتبات الهامة في المتن السردي. نحاول في هذا البحث التطرق إلى«العنوان للكتاب كالاسم للشيء،به يعرف وبفضله يتداول يشار به إليه، ويدل به عليه،يحمل وسم كتابه»[5] تختلف علاقة نص/عنوان من مؤلف لآخر حسب درجة صياغة العنوان، فهناك من يكتب العناوين قبل كتابة النص، وهناك من يكتبه بعد كتابة النص .

1- بلاغة العنوان:

عرف العرب قديما اهتماما بالغا بمحيط النص من خلال تناولهم لشروط الكتابة «فقد ذكر المقريزي في خططه شروطاً لمن أراد أن يؤلف كتاباً وهي الرؤوس الثمانية التي يجب على مَنْ يقوم بتأليف كتاب أن يأتي بها، وهي من صميم عتبات

النصوص، وجاء بعده التهانوي في الكشاف ليشرح تلك الرؤوس الثمانية وغيرهما من البلاغيين والصوفيين القدامى، نحو أبي بكر الصولي في كتابه " أدب الكُتّاب " وابن الأثير في كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" وأبي القاسم الكلاعي في كتابه " أحكام صنعة الكلام " والجاحظ في كتابه الحيوان »[6] وأيضا استساغوا المقدمات المسجوعة ،و اعتمدوا على اختيار العناوين الرنانة التي تذهب بالعقول، وتسحر الألباب.

ذكر المقريزي الرؤوس الثمانية وهي«الغرض، والعنوان، والمنفعة،والمرتبة،وصحة الكتاب،ومن أي صناعة هو وكم فيه من أجزاء وأي أنحاء التعاليم المستعملة فيه»[7]يقصد بالروؤس الثمانية الشروط التي تجعل من مؤلف كتابا هاما.

لا تعدو هذه الكتابات أن تكون البدايات أو المحطات الأولى التي سلكها الناقد العربي القديم في سبيل الوصول إلى نظرية علمية قائمة بذاتها حول العتبة والنص الموازي. من خلال اهتمامه بموضوع الكاتب والكتاب ،ووضع شروط للكتابة.

شهدت الدراسات العربية اهتماما منقطع النظير حول العنوان فقد «حظي العنوان في التراث العربي بعناية خاصة،لكونه من أهم العناصر التي تتصدر الكتاب وتسبق متنه لتكشف عن مجاله المعرفي وطبيعة موضوعه وتسهم في فك رموزه»[8]فالعنوان كالاسم للكتاب به يعرف عند العامة والخاصة لذلك عني الكتاب بتخير العناوين المؤثرة في المتلقي والمشيرة للموضوع .

يتناول البحث بلاغة العنوان في رواية "حروف الضباب" للروائي الجزائري "الخير شوار"، قصد تحري بلاغة العنوان «ففي هذا المستوى يتكشف البعد الجمالي للعنوان؛ وذلك بإدراك الآلية البلاغية التي يتأسس عليها: استعارة، كناية،مجاز»[9]لكن لابد من التطرق أولا :إلى العنوان الرئيس(حروف الضباب).

2-العنوان الرئيس:

اهتم الكتاب العرب منذ القدم باختيار عناوين مؤلفاتهم خاصة «فالعنوان الروائي،يترع إلى توجه بلاغي يكسر هيمنة العنوان الكلاسيكي، الحرفي، الاشتمالي، ويؤسس لمعان متقاطعة بين ماهو ظاهري وباطني، يغذي القراءة والتأويل»[10]عنونت الرواية بحروف الضباب .

العنوان اسم نكرة ،وهو مضاف ومضاف إليه ،يتكون العنوان من وحدتين لسانيتين هما الحروف والضباب ، فالحروف جمع حرف وأحرف «الْحَرْفُ مِن كُلِّ شَيْءٍ : طَرَفُهُ وشَفِيرُهُ وحَدُّهُ ومِن ذلك حِرْفُ الْجَبَلِ وهو : أَعْلاَهُ الْمُحدَّدُ نَقَلَهُ الجَوْهَرِيُّ وقال شَمِرٌ : الحَرْفُ مِن الجَبَلِ : ما نَتَأَ في جَنْبِه منه كهَيْئَةِ الدُّكَّانِ الصَّغِيرِ أَو نحوِه (...)الحَرْفُ : وَاحِدُ حُرُوفِ التَّهَجِّي الثَّمَانيَةِ والعِشْرين سُمِّيَ بالحَرْفِ الذي هو في الأَصْلِ الطَّرَفُ والجانبُ قال الفَرّاءُ وابنُ السِّكِّيتِ : وحُرُوفُ المُعْجَمِ كلُّهَا مُؤَنَّثَةٌ وجَوَّزُوا التَّذْكِيرَ.»[11]والحروف هي الأحرف الطباعية المتواجدة في الكتب والمجلات.

بينما يمثل الضباب«سَحَابٌ يغشَى الأرض كالدخانِ؛ ويكثُر في الغَداة البَاردة»[12]في هذا العنوان جمع الروائي بين شيئين متضادين،فالحروف هي أحرف الطباعة،وهي شيء موجود على الورق، بينما الضباب ظاهرة طبيعية تحدث نتيجة انخفاض درجة الحرارة . فالحروف هي الطلاسم التي وجدها الزواوي في التميمة وبحث عنها في كتاب "شمس المعارف الكبرى" ،ذكر الضباب بوصفه ظاهرة ىطبيعية حدثت عدة مرات في المتن السردي وهو يدل على الغموض و الغرائبية التي تكتنف الرواية.

ورد العنوان الرئيس على شكل استعارة مكنية حيث شبه الروائي الضباب بكتاب فحذف المشبه به وأبقى على لازمة من لوازمه على سبيل استعارة مكنية، فلا يعقل أن تكون حروفا من الضباب، كيف يكتب على الضباب؟

3-العنوان الفرعي:

العنوان الأصلي للرواية هو حروف الضباب، هذا العنوان غامض مبهم فذيل بعنوان فرعي "قول الراوي في محنة الزواوي"،من خلال هذا العنوان الفرعي بدأت الرؤية تتضح أي أن هناك راو هو الذي ينقل لنا مجريات الأحداث،ويسيطر على صفحات الرواية ،والذات الفاعلة في هذا العمل تدعى الزواوي وهي في محنة ،فحاول الروائي أن يعرض لنا ما حدث معها منذ تعرفها على الياقوت إلى غاية اختفائها ،بعض الشخصيات في الرواية تظهر وتختفي فجأة وهذا ما يجسده الضباب.

4-وظائف العنوان:

من بين الوظائف التي يضطلع بها العنوان:تعيين الجنس وتمييزه عن غيره من الأجناس الأخرى يمثل نقطة فارقة في أي عمل«يمكن حصرها في وظيفة التعيين التي تتكفل بوظيفة تسمية العمل وتثبيته ، وهناك أيضا الوظيفة الوصفية،والتي تعني أن العنوان يتحدث عن النص وصفا وشرحا وتأويلا وتوضيحا،ونذكر كذلك الوظيفة إغرائية التي تكمن في جذب المتلقي »[13] وهناك عدة وظائف أخرى للعنوان منها الإيحاء والتلميح،اهتم كتاب الرواية بتخير العناوين المثيرة والمشيرة في الآن ذاته إلى كنه الرواية.

تطرح الرواية فكرة اختفاء الزواوي في ظروف غامضة واتصاله بعالم الجن (الياقوت)وبحثه عن سر الحكمة، الروائي استفاد من التراث في كتابة الرواية،استوحى من القصص الشعبية والسير الهلالية بعض الأفكار ،ثم جعل القرية التي تدور فيها الأحداث محل الكثير من الجدل والمشاكل.

العناوين بمثابة الخارطة الجغرافية أو «مصابيح في ليل العلامات تقود القارئ إلى كنوز النص،مناطق استراتيجة للتفاوض مع النص،ممرات يدلف منها النص إلى العالم،ويقدم إلى فسحة الضوء ليشتبك مع القارئ تارة ،ويعانقه تارة أخرى (...)العنوان كائن اشاري سيميائي،انزلاقي،حسبه التأشير والإيحاء والغمز،وشق الممرات أمام التأويل وإزاء هذه الحيرة التأويلية لابد من جسر العلاقة بين العنوان والنصوص التي يسميها .»[14] أما عن علاقة العنوان بالرواية هي علاقة تكاملية بمعنى أن العنوان هو عبارة عن صيغة مكثفة عن المتن الروائي،فالعنوان يوحي بالضبابية والغموض وهذا ما كانت تعاني منه الذات الفاعلة .

يعد العنوان رسالة بين المتلقي والكاتب ،لذلك وجب على الكاتب الاعتناء بصياغة العناوين لجذب انتباه القارئ بوصفه عنصرا فاعلا في عملية التواصل فلا تتم عملية التواصل بدون وجود متلق وباث «فيساهمان في التواصل المعرفي والجمالي،وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية ،يفككها المستقبل،ويؤولها بلغته الواصفة، وظيفتها الحفاظ على الاتصال »[15] العنوان عتبة من عتبات النص،أو مفتاح من مفاتيحه، أو باب نلج منه إلى النص السردي، وهذا ما يقدّمه كلّ نصّ على حدة، وبخاصة في النص الثري بدلالاته.

5-العناوين الداخلية:

تمثل العناوين الداخلية الدليل الذي يدفع بالقارئ إلى جوف النص«نجدها أقل مقروئية، تتحدد بمدى اطلاع الجمهور فعلا على النص/ الكتاب،أو تصفح وقراءة فهرس موضوعاته باعتبارهم من يرسل إليهم/ يعنون لهم النص، والمنخرطون فعلا في قراءته»[16] من خلال العناوين الداخلية يمكننا الاطلاع على بوطن المتون السردية، وتتضح الرؤية الضبابية التي أحدثتها الرواية.

شهدت رواية الحساسية الجديدة تميزا في صياغة العناوين، فلم تعد العناوين رتيبة ومجترة بل حاول كتاب الرواية الجدد اختيار عناوين ذات شاعرية وجمالية« إن البعد الشاعري للعنوان شكل حماية له من أفة السطحية والتكرار والمباشرة الفجة، باعتباره قيمة جمالية، تستهدف الايحاء لا التصريح»[17]تتشكل رواية حروف الضباب من العناوين الداخلية التالية:1- وكل شيء ممكن ،2- عين المعقال، 3- الوباء، 4- بوسعدية،5- الياقوت،6- كارل لويس، 7- شمس المعارف الكبرى، 8- كلام الكلام، 9- في جوف الضباب .

5-1التقسيم الأول: "وكل شيء ممكن"

يقوم الحدث الرئيس في البداية على اختفاء الزواوي(تلميذ في الطور الثانوي)، باختفائه تحركت دفة الرواية من البداية إلى النهاية، أي أن الزواوي كان في حالة انفصال عن المجتمع، فهذا الانفصال يدعى"انفصال اجتماعي". ظهرت والدة الزواوي في "حصة وكل شئ ممكن ". هذا«البرنامج التلفزيوني الذي يحمل عنوان"...وكل شيء ممكن".كان مميزا هذه المرة،فقرية عين المعقال ترى لأول مرة في تاريخها أحد أفرادها في هذا الجهاز» [18] غادر الزواوي المترل إلى وجهة غير معلومة مما دفع بوالدته إلى البحث عنه في التلفزيون الجزائري.

5-2التقسيم الثاني: قرية "عين المعقال "

نلاحظ من خلال هذا التقسيم أن الذات الفاعلة قد تغيرت من الزواوي الحفيد إلى الزواوي الأول الذي نسبت إليه الكثير من الأقوال والأفعال ،كان فتى عادي برع في اللعب بالمعاقل؛ حتى لقب بالزواوي المعقال إلى غاية وقوعه في حب الياقوت، لكن أهلها قاموا بتزويجها من أخر،هنا حدث تحول كبير في مسار حياة الزواوي الأول غادر القرية إلى مكان آخر سمي فيما بعد "عين المعقال" فتحول من "زواوي المعقال" إلى الزواوي الولي الصالح.

ارتبط اسم الزواوي بالقداسة والتبرك،حينما توفي بنى الهلاليون على قبره قبة سميت "قبة سيدي الزواوي"وصارت مزارا لكثير من النسوة. وتناقلت سيرته أجيال وأجيال على مر العصور، انظم وفد من قبيلة "وادفل" إلى الهلاليون،كانت هنالك عداوة بين القبيلتين، إلى أن زار "الزواوي" فتاة تدعى "الياقوت" وأراها صورة "الزواوي" وأوصاها أن تقبله زوجا له،ونفس الشيء حدث مع الزواوي.حدثت عدة مشاكل بين الطرفين.

5-3التقسيم الثالث:

الوباء كانت "قرية عين المعقال " تعيش في هناء ونماء«كان التجار يتوافدون بين الوقت والآخر..عندها يفرح الأطفال ويهتفون بأهازيج جميلة..يحمل الأطفال ما يوجد في البيت من جلود ماشية وصوف يقايضونها بالحناء والحلويات والتين والزيتون..أما من لا يملك الجلود والصوف فيعيش في حسرة الحسد والغيرة »[19] إلى غاية وفود شخص غريب إليها معه دابة ،كان مصابا بمرض، استقبله سكان القرية وقدموا له الإسعافات،لكنه لفظ أنفاسه من جراء المرض ،انتشرت العدوى بين الناس فمات محمود الطالب الذي غسل الغريب ثم زوجته ثم هلك أهل القرية جميعا إلا شخص يدعى الزواوي بقي على قيد الحياة هو وزوجه.

5-4التقسيم الرابع: بوسعدية

لم يكن الزواوي يحب اسمه خصوصا بعدما علم أن والدته كانت تنوي تسميته"بوسعدية"،قبل ميلاد الزواوي لم تكن والدته تنجب زارها "سيد الزواوي "في المنام وأوصاها أن تسمي وليدها "بوسعدية.

5-5التقسيم الخامس :الياقوت

أصيب الزواوي بحالة من الهذيان فقد على أثرها الوعي وانخرط في كلام غير مفهوم عن فتاة اسمها الياقوت (الجنية)، قال أنه تزوجها وهما يسكنان الجبل، استغرب الناس من هذه الحادثة واتصلت الوالدة بالشيخ العلمي.

5-6التقسيم السادس: كارل لويس

بعدما علق الشيخ العلمي تميمة للزواوي صار مسخرة لأقرانه ،حتى أن أستاذ التربية البدينة والرياضية لقبه ب"كارل لويس "بعد سخرية الأستاذ من الزواوي أصبح قليل التردد على الثانوية،إلى غاية انقطاعه عن الدراسة.

5-7التقسيم السابع: شمس المعارف الكبرى.

فتح الزواوي التميمة لم يجد فيها سوى مجرد طلاسم كتبت بخطا مغربي غير مفهموم،لم يفهم الزواوي هذه الحروف لذلك بحث عن سرها في كتاب "شمس المعارف الكبرى".

5-8التقسيم الثامن:كلام الكلام

يتحدث الروائي الخير شوار في هذا المقطع عن الكتب التي جمعها البطل الزواوي في البحث عن مختلف الأمور التي حدثت معه، وجد شيخا عند قبر الشيخ العلمي أخبره عن سيرة الشيخ،وكيف أنه كان مجرد شخص عادي إلى أن حدث معه حدث غريب هو وفاة صديقه "الكلب روميو" تغير حاله، زاره شخص في المنام وأمره بالسفر إلى تومبكتو ونيسابور للعلم هناك. بعدها رجع الشيخ العلمي وقد حفظ القرآن الكريم والكتاب المحظور" شمس المعارف الكبرى"وكتاب"كلام الكلام" صار له مكانة مرموقة في المجتمع،عندما توفي بنوا له قبة بجوار "سيدي الزواوي ".

5-9التقسيم التاسع: في جوف الضباب

كان الضباب يتشكل حينما غادر الزواوي القرية إلى تومبكتو رفقة الشيخ العلمي «سوف يذهب إلى تومبكتو..ربما سيحصل له ما حصل للعلمي..عندما يسير قليلا ربما يسجد رجلا معه ثلاث راحلات ويأخذه إلى تلك المدينة البعيدة..كان الضباب يزداد..رأى أن يجري مستعجلا لقاء الرجل الذي سيأخذه الى تومبكتو..كان يجري تارة ويمشي تارة أخرى..أصبح الضباب يعرقل الرؤية.»[20] ثم اختفى الزواوي.

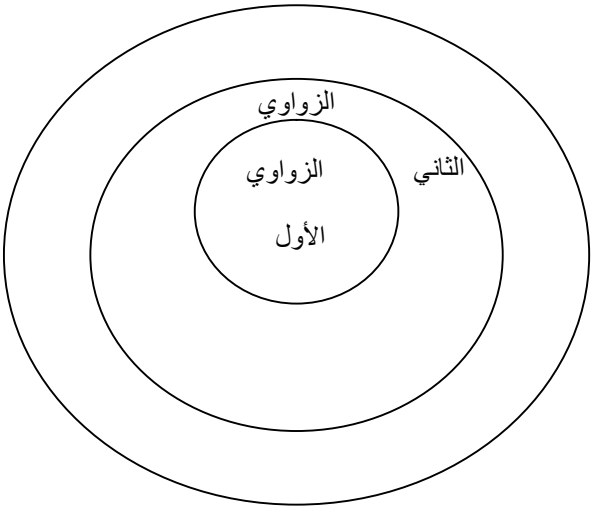

الحكاية الإطار

الزواوي الثالث

تبدأ الرواية باختفاء الزواوي وتنتهي باختفائه، نجد في هذه الرواية محكي رئيسي (حكاية الزواوي الثالث) داخلها محكيات ثانوية(1-حكاية الزواوي الأول ،2- حكاية الزواوي الثاني،3- حكاية الشيخ العلمي الغريبة) رغم وجود عدة محكيات إلا أن الحكايات كل تعلقت بالزواوي والياقوت ،فهذه الشخصيات تجاوزت المكان والزمان الروائيان.

استطاع الروائي من خلال الذات الفاعلة في العمل الروائي التعبير عن شريحة من المجتمع الجزائري لازالت تعيش في جهل وأمية ،وملاذها الوحيد هو الأضرحة والقبور والخرافات والأباطيل،وأيضا استطاع أن ينفذ إلى أغوار النفس البشرية ويعبر عن مكنوناتها من خلال شخصية الزواوي فهي طوال العمل الإبداعي حاولت جاهدة البحث عن السعادة (سواء في الداخل أو الخارج).

6-علاقة العنوان بالنص :

تتجسد لنا العلاقة من خلال المتن الروائي، وذلك نظرا لما يضفيه العنوان على النص من ضلال على معنى الرواية.لذلك اختار الخير شوار عنوان (حروف الضباب) مع ما يطرحه في الرواية «العنوان الذي يسم الكتاب ويجنسه ويعرضه لجمهور القراء»[21] خاصةوأن هذه الرواية غرائبية عجائبية أي أنها رواية ضبابية مليئة بالغموض ،فالعنوان شيء ينصب في الغلاف يهتدي به الضالة لمعرفة دهاليز النص المتشعبة والمبهمة« في اطار العلاقة بين العنوان والنص تتجه القراءة إلى تعويم الحضور اللفظي والدلالي للعنوان في النص، والنص في العنوان؛ فالعنوان وضع في الأساس ليدل على النص ويمر النص منه إلى العالم ويجذب القارئ»[22]بعد استجلاء الضباب الذي وجد في رواية "حروف الضباب" نستشف أن حروف الضباب ما هي إلا حروف التميمة التي علقها الشيخ العلمي في رقبة الزواوي(ميدالية كارل لويس) التي كتبت بخط مغربي غير واضح، ففي أحيان كثيرة حاول الزواوي قراءتها لكنه فشل حتى بعدما حصل على كتاب "شمس المعارف الكبرى".

7-الخطاب التقديمي:

الخطاب التقديمي لم يهتم النقاد قديما بدراسة هاته العتبة من عتبات النص الموازي الداخلية ، فلما يولوها أي اهتمام كباقي العتبات الأخرى مثل العنوان الذي وضع له علم قائم بذاته علم العنونة « ظلت بعض جوانب النص الروائي بعيدة عن التناول من قبل الدارسين العرب،و ضمن هذه الجوانب الخطاب التقديمي في الرواية العربية،فقد كان الناقد العربي إما جاهلا بقيمة هذه المقدمات أو متجاهلا إياها،ويجعلها تنصهر في إطار دراسة المتن بصفة عامة »[23] سواء كانت هذه الخطابات من لدن الكاتب (الروائي) أو من لدن شخص أخر .

ينقسم الخطاب التقديمي إلى قسمين: خطاب تقديمي ذاتي أي أن الروائي يقوم بتقديم عمله الفني،ليدخل القارئ في جو القراءة ويفتح أفق توقعه حول الرواية ،وهناك خطاب تقديمي غيري ،وهذا ما وجدناه في رواية حروف الضباب التي تعد أول عمل فني للروائي الخير شوار بعد المجموعة القصصية "زمن المكاء"،لذلك قدمها الروائي بشير مفتي روائي من الجزائر صدر له عدة روايات منها: المراسيم والجنائز، شاهد العتمة، أرخبيل الذباب، بخور السراب، أشجار القيامة، دمية النار، أشباح المدينة المقتولة، غرفة الذكريات.

كتب الروائي بشير مفتي التقديم تحت عنوان "لذة القراءة ..لذة الرواية"،فيقول عن "حروف الضباب" مخاطبا الخير شوار «كنت قد طلبت مني كتابة مقدمة والحق أنني لم أرى نفسي أهلا لذلك وربما هناك نفور شخصي من تقديم أعمال قد لا تستحق ذلك فهي أهل لأن تقدم نفسها بنفسها و"حروف الضباب "هي من هذا النوع الذي لا تحتاج إلى الإطناب في مدحه حتى يجد من يعجب به ،إنه بالعكس من ذلك ،يحمل قوته في داخله (...)أستطيع أن أؤكد اللحظة أن هناك من يولدون كتابا من البداية وأن هناك من لا يقدرون على أن يكونوا كذلك حتى لو كتبوا العشرات من الكتب .»[24]مثل هذا التقديم يدعو القارئ إلى مواصلة التبحر في أرجاء الرواية ويفتح شهيته لتلقي مثل هذه النصوص السردية ليكتشف خباياها وخفاياها.

يدعو البشير مفتي القارئ إلى دراسة مثل هذا النوع من (الروايات الغرائيبة)التي تحفز مخيلة المتلقي وتدفعه إلى البحث والتنقيب حول الأشخاص المتواجدين في الرواية وهل هم حقيقة أم مجرد وهم «هذه الرواية حكاية مضادة بالفعل لكل ما كتب في الرواية الجزائرية و ضديتها تنبع من القدرة اللامتناهية على الاستثمار في الخارق والأسطوري،أي فيما تقدر الرواية على سبره كما فعل الخير شوار في هذا النص المتميز . صديقي العزيز الخير شوار .كما ترى ...ربما لست الشخص الأقدر على تقديم عملك للقراء ومع ذلك فأنا أرى بأنك قد أنجزت شيئا مهما للغاية وتستحق أن نشكرك عليه وان نحتفي به كما يجب »[25] لعب التقديم دورا هاما في جذب انتباه القارئ خاصة بعد ما وضع مقطع من التقديم في صفحة الغلاف الرابعة(طبعة 2002)لكن في الطبعة الثانية وضع مقطع من حوار الزواوي والياقوت وصورة الكاتب الشخصية.

تحفز العتبات النصية مخيلة المتلقي وتدفعه إلى البحث والتنقيب حول الأشخاص المتواجدين في الرواية وهل هم حقيقة أم مجرد وهم «هذه الرواية حكاية مضادة بالفعل لكل ما كتب في الرواية الجزائرية و ضديتها تنبع من القدرة اللامتناهية على الاستثمار في الخارق والأسطوري،أي فيما تقدر الرواية على سبره كما فعل الخير شوار في هذا النص المتميز . صديقي العزيز الخير شوار .كما ترى ...ربما لست الشخص الأقدر على تقديم عملك للقراء ومع ذلك فأنا أرى بأنك قد أنجزت شيئا مهما للغاية وتستحق أن نشكرك عليه وان نحتفي به كما يجب »[26] مقطع من التقديم الذي كتبه الروائي بشير مفتي حول رواية حروف الضباب.

8- الخطاب البصري :

الغلاف هو أولى العتبات النصية الموازية التي يلتقي فيها القارئ بالنص،هي تجذبنا لقراءة أي نص ما،خاصة إذا تصدرته لوحة تشكيلية تحوي رسومات وأشكال بحيث تتموقع لوحة فنية في قلب الغلاف وتزخر بألوان جذابة تشد المتلقي وتظهر« في طلائع الصورة البصرية ،و أبرز ما يدل عليها أن الألوان من العناصر الأساسية في عالم الحسيات، فنحن لا نستطيع أن نصف الأشياء التي بيننها ونجدها حولنا من غير التعبير عن ألوانها،فاللون من جهة يميز أحيانا بين الأشياء،وهو من جهة ثانية من الخصال الأكثر لفتا لنظر»[27]تتشكل صورة الغلاف الأمامية من لوحة تشكيلية بالغة في الدلالة .

تتكون اللوحة من صورة امرأتين تلبسان الحائك وغطتا وجهيهما إلا عين واحدة ، فالعين الثانية حجبت كما حجبت حقيقة الزواوي وسي العلمي، يمثل الحائك العادات و التقاليد الراسخة في أذهان المجتمع الجزائري،و كأن المصور وضع عدسة الكاميرا أمام المرأتين ليستجلي ملامحها إلا أنها بدت غير واضحة المعالم تماما،رغم أن إحداهما كانت قريبة من طرف الصورة الأيسر وهذا يدل على أنها تعاني من مشاكل نفسية،والمشهد الثاني في الصورة هو كومة الركام باللون الأسود يوحي هذا اللون بالغموض والجمود والظلام والذي يمثل في الرواية ضريح سيدي الزواوي، بينما نجد لون الحائك ابيض وهذا اللون هو لون الثلج والياسمين ويرمز إلى «الطهر والصفاء والبراءة والحرية والسلام والاستقرار»[28]والجمال ،شكلت الألوان صورة فنية تدفع القارئ إلى التساؤل حول من تكون هاتين المرأتين في الصورة ؟أهما الذوات الفاعلة في العمل الروائي؟أم أنهما ضحيتان ؟أم غير ذلك ؟أم أن لهما علاقة وطيدة مع الذات الفاعلة ؟.

تتميز الألوان في صورة غلاف رواية حروف الضباب ذات أهمية بالغة في التأثير على المتلقي وحثه على سبر أغوار النص، فشأن الصورة في ذلك شأن«الومضات الاشهارية حيث تساهم بكيفية فعالة في إبلاغ الرسالة الاشهارية بشاعرية لجذب انتباه المشاهد وخلق جو وجداني وانفعالي وتكمن جمالية الألوان في حسن استخدامها،فيكمن خلق الجمالية عن طريق تباين الألوان وهو التضاد، فالأبيض هو نقيض الأسود ويلعب التباين دورا كبيرا في تغيير مساحة أو حجم الأشكال

وإبرازه »[29]وهذا ما ألفيناه في الصورة البصرية لغلاف رواية حروف الضباب ،وكذلك نلاحظ حضور اللون الرمادي ويرمز الى «التداخل والنفاق والضبابية في كل شئ »[30] ربما لأن في الرواية بعض الضبابية والغموض ،أو تذبذب في علاقة الشخصيات ببعضها البعض ،وكذلك طغى لون بني على المساحة العليا من الصورة وهو لون الغروب لذلك بدت الصورة غير واضحة المعالم.

صورة الغلاف هي عبارة عن رسالة بصرية فهي تمثل صورة شخصيتين في جو مهيب مليء بالغموض ويسوده الظلام والضبابية«فالألوان المكونة لهاته الصورة هي عبارة عن ألوان دافئة تعطي توافق في الصورة وهي أيضا تفاعل بين الأشكال والأشعة الضوئية الساقطة عليها فيؤلف بذلك المظهر الخارجي لهذه الأشكال،وان الألوان في اللوحة بانسجامها وترابطها تتحقق الوحدة الجمالية »[31] تتشكل صورة الغلاف البصرية من لوحة تشكيلية، أوحت هذه الصورة بعدة دلالات مكثفة ومختزلة، فالصورة أبلغ من الخطاب المقروء والمسموع لذلك اهتم الروائي بصورة الغلاف، وحاول أن يبرزها تماشيا مع النص الحكائي،رغم أن الطبعة الأولى (2002)كان غلافها اسودا وفيه بعض الألوان الباهتة،إلا أن صورة الطبعة الثانية كانت أكثر تعبيرا ودلالة وانفتاحا عن المتن.

9-اسم الكاتب :

يعد اسم الكاتب من بين العلامات البارزة في دراسة الغلاف ،معرفة اسم الروائي في الواجهة الأمامية والخلفية،وهل حقا هذا الاسم يخصه أم لا؟أم أنه مجرد اسم شهرة (مستعار)؟ ظهرت عدة دراسات اهتمت بدراسة الاسم و موقعه «فإذا ما أتيحت الفرصة للناقد كي يتوقف عند محفل اسم المؤلف، فإن أول معالجة لوقع هذا الاسم على مسامعه هو المبادرة الفورية إلى تصنيفه بطريقة آلية في هذه الخانة المذهبية أو تلك ،وهي ممارسة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها تتلبس بلبوس النقد »[32] بحيث لا يخلو أي عمل سردي روائي من وضع اسم الروائي ومكانته في المجتمع وأحيانا تتصدر الواجهة الخلفية صورة الكاتب ونبذة عن حياته،وأهم إبداعاته الفنية والنقدية.

يتموقع اسم الروائي "الخير شوار"في صفحة الغلاف وهو يصرح بتبنيه لهذا العمل الإبداعي وينسبه له، ويتموضع اسم "الخير شوار" قبل العنوان والتجنيس الأدبي ومعلومات النشر،وكأن النص رسالة يبعث بها الكاتب إلى المتلقي (القارئ)بوصف هذا النص يحمل عدة دلالات أو غاية منشودة، لذلك عني النقاد بمعرفة اسم الكاتب وموقعه في الساحة الأدبية والنقدية «عادة ما يتفاوت وقع اسم هذا المؤلف أو ذاك على المتلقي، فهناك شريحة من القراء تستقبل اسم كاتب متعين بفتور، بينما تتلقاه 'أي اسم الكاتب نفسه)شريحة أخرى بحرارة »[33] توحي بمدى محبته .

الروائي الخير شوار قاص وروائي جزائري من ولاية سطيف صدر له مجموعة قصصية بعنوان"زمن المكاء" ورواية حروف الضباب باكورة أعماله الرواية، وكتاب "علامات"وهو مقالات ذيل العنوان ب (تأملات في الأدب والفكر والفن والحياة) صادر عن دار أسامة الجزائر.

توجد للرواية طبعتان طبعة 2002وهي طبعة الرواية الأصلية حيث يظهر للقارئ أن هذه الصورة بسيطة، وفي الغلاف وضع مقطع من تقديم الروائي البشير مفتي« ليس من السهل على قارئ "حروف الضباب" أن يكتشف سرها بسهولة فهي بقدر ما تبدأ بسيطة سرعان ما تدخلنا في عالم من الغرائبية المختلفة فيختلط الواقعي بالسحري والمحسوس بالمجرد والآني بالمطلق والمادي بالروحي » بينما نلاحظ أن غلاف الرواية في طبعة 2008 يختلف كثيرا عن طبعة 2002 في الواجهة الخلفية وضع الروائي مقطع من حوار بين الياقوت و الزواوي حين زارته في الغرفة .

تظهر بنية التجلي في المتن السردي من خلال علاقة النص بما يحيط به من عتبات أو ما يمكن أن نطلق عليه النص المحاذي أو الموازي بحيث تبدو هذه النصوص في طلائع القصة والرواية والمسرحية والدواوين الشعرية.

العتبات النصية ليست عناصر زائدة في العمل فهي«ذات وظائف رمزية مشفرة،ومسننة بنظام علاماتي دال على عالم من الإحالات الغنية والثرية،ومن،ثم،تشكل العناوين كلها مجموعة رمزية،والتي تبرر ميزتها الاصطلاحية حينما يحاول المرء ترجمتها الى لغة أخرى أومن ثقافة الى أخرى»[34] فنلاحظ في هذه الرواية أن الموازيات النصية ساهمت بشكل كبير في معرفة بعض حيثيات الرواية، وكذالك في إعطاء نظرة عامة عن الرواية،وشحذت همة القارئ لملء الفراغات التي أحدثها الروائي أثناء تلقيه لهذا العمل .

الهوامش

---

[1]–خالد حسين،شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل ، دار التكوين،دمشق، ط1،2008،ص45.

[2] عبد الحميد بورايو، الكشف عن المعنى في النص السردي السرديات والسيميائيات،دار ابن السبيل ،د–ط،د–ت،ص246.

*قاص وروائي من بئر الحدادة ولاية سطيف.

** طالبة دكتوراه السنة الثالثة تحليل الخطاب السردي الجزائري.

[3]– جميل حمداوي، سميائيات العنوان عتبة النص الموازي ، الأيقونات (مجلة رقمية محكمة تعنى بنش البحوث السيميائية ، العدد03،ماي 2012ص29.

[4]المرجع نفسه،ص30.

[5] محمد فكري الجزار،العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،د–ط،1998، ص15.

[6] عزوز على اسماعيل،عتبات النص(استلهام الماضي ورؤية المستقبل)،عتبات النص مجلة محكمة ، ع1،25يناير2012، http//azozaliaboeqa1.blogger.com

[7]يوسف الإدريسي، عتبات النص بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، منشورات مقاربات،المملكة المغربية، ط1،2008،ص24.

[8] يوسف الإدريسي، عتبات النص بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر ، ،ص32.

[9] خالد حسين،شؤون العلامات،ص104.

[10] شعيب حليفي، هوية العلامات ،في العتبات وبناء التأويل ،دار الثقافة ،الدار البيضاء،ط1،2005،ص6.

[11]– الزبيدي محمد مرتضي الحسيني، تاج العروس من جوهر القاموس،ج:24،تح:مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت (لتراث العربي سلسة تصدرها وزارة الإعلام) الكويت، د– ط،، 1987 ،ص128.

–مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ،مكتبة الشروق

[12]الدولية،مصر،ط4،2004،ص532.

[13]– جميل حمداوي، سميائيات العنوان عتبة النص الموازي،ص36.

[14]– خالد حسين ،شؤون في العلامات من التشفير إلى التأويل ،ص60–61.

[15]– جميل حمداوي، سميائيات العنوان عتبة النص الموازي ،ص36.

[16] عبد الحق بلعابد،عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص ،الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف ، بيروت – الجزائر،ط1،2008،ص125.

[17] عبد المالك أشهبون ،الحساسية الجديدة في الرواية العربية روايات ادوار الخراط نموذجا ،الدار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف، بيروت – الجزائر،ط1،2010،ص88.

[18]- الخير شوار، حروف الضباب،منشورات الاختلاف ،الجزائر،ط1،2002 ،ص12.

[19]- الرواية ،ص31.

[20]- الخير شوار ،حروف الضباب،ص120.

[21] مصطفى سلوي،عتبات النص المفهوم والموقعية والوظائف ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،وجدة،ط1،2003،ص172.

[22] مصطفى سلوي،عتبات النص ،ص106.

[23]- عبد المالك أشهبون ،عتبات الكتابة ،ً76.

[24]-الخير شوار حروف الضباب (رواية)،منشورات الإختلاف ،الجزائر،ط1،2002،ص5-6.

[25]-الرواية ،ص8.

[26]-الرواية ،ص8.

[27]- وجدان الصايغ،الصور الاستعارية في الشعر العربي الحديث (رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،عمان – الأردن،ط1،2003،ص118.

[28]-قدورعبدالله الثاني،سيميائية الصورة مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم،مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع،الأردن،د-ط،ص113.

[29]- المرجع نفسه،ص75.

[30]-المرجع السابق نفسه ،ص113.

[31]- قدورعبدالله الثاني،سيميائية الصورة ،ص113.

[32]- عبد المالك أشهبون ،عتبات الكتابة في الرواية العربية ،دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع،سورية ،ط1،2009،ص19.

[33] عبد المالك أشهبون،الحساسية في الرواية العربية(روايات إدوار خراط نموذجا)، الدار العربية للعلوم ناشرون-منشورات الاختلاف، بيروت-الجزائر،ط1،2010،ص43.

[34]- جميل حمداوي ،سميائيات العنوان عتبة النص الموازي ،ص38.